

ليعرفون ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبده وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم. روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك» ورواه الترمذي وابن ماجه. وروى الإمام أحمد أن حبة وسواة ابني خالد، يقولون: أتينا رسول الله ﷺ، وهو يعمل عملاً، أو يبني بناء، فأعناه عليه، فلما فرغ دعا لنا وقال: «لا تياسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يعطيه الله ويرزقه». وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني، فإن وجدتنني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أي نصيباً من العذاب ﴿يَمَثَلُ ذُنُوبِ أَحْسَنِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾ أي فلا يستعملوا ذلك، فإنه واقع لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٦٠) يعني يوم القيامة.

تفسير سورة الطور

روى مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه. أخرجاه من طريق مالك. وروى البخاري عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني أشتكي فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت، ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ (١) ﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورٍ﴾ (٢) ﴿فِي رَقٍ مَنشُورٍ﴾ (٣) ﴿

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار، مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له: جبل. ﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورٍ﴾ (١) قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً، لهذا قال: ﴿فِي رَقٍ مَنشُورٍ﴾ (٢).

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (٤) ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (٥) ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) ﴿مَالَهُ

من دافع ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ ﴿١٥﴾ أَصَلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴿

﴿وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني يتعدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة. ﴿وَالسَّقْفِ الرَّفُوعِ﴾ عن علي رضي الله عنه: يعني السماء: ثم تلا ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ [الأنبياء: 32] أو هو العرش، فإنه سقف لجميع المخلوقات ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال لجمهور: هو هذا البحر. والمراد بالمسجور أنه يوقد يوم القيامة ناراً، كقوله: ﴿وَإِذَا أَلْحَاظَ سِجْرَتَ﴾ [التكوير: 6] أي أضمرت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف، أو المسجور المملوء، أو الفراغ، أو الممنوع المكفوف عن الأرض لثلا يغمرها فيغرق أهلها. روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن يفضح عليهم فيكفه الله عز وجل». ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفٌ﴾ هذا هو المقسم عليه، أي لواقع بالكافرين ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ أي ليس له دافع يدفع عنهم إذا أراد الله بهم ذلك. روى ابن أبي الدنيا أن عمر خرج يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فواقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾ - حتى بلغ - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفٌ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعود الناس، لا يدرون ما مرضه، رضي الله عنه. ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ تتحرك تحريكاً ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي تذهب فتصير هباء منبثاً، وتسف نسفاً ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله، ونكاله بهم وعقابه لهم ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل، ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أي يدفعون ويساقون ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ أي يدفعون فيها دفعاً ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريباً وتوبيخاً ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ﴾ أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاتها ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم

تصبروا، لا محيد لكم عنها، ولا خلاص لكم منها ﴿ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي ولا يظلم الله أحداً، بل يجازي كلًّا بعمله .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَعِيمٍ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ فَكَفَّيْنِ يَمَاءِ النَّهْمِ رَيْمٌ ﴿ ٨ ﴾ وَوَقَّهْمُ رَيْمٌ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ ٩ ﴾ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْتًا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ ١٠ ﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿ ١١ ﴾

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَعِيمٍ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ﴿ فَكَفَّيْنِ يَمَاءِ النَّهْمِ رَيْمٌ ﴾ أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومسكن ومراكب وغير ذلك ﴿ وَوَقَّهْمُ رَيْمٌ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حداثها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْتًا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْتًا يَمَّا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾ [الحاقة: 24] أي هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً ﴿ مُتَّكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ السرر في الحجال. روى ابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكوى المتكأ مقدار أربعين سنة، ما يتحول عنه ولا يمله ما اشتتهت نفسه ولذت عينه»: ﴿ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض، كقوله: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَّقِلِينَ ﴾ [الحجر: 47] ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي وجعلنا لهم قرينات صالحات، وزوجات حسناً من الحور العين.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَاحِهِمْ وَوَحْمِهِمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ ١٣ ﴾ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿ ١٤ ﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُعْدَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴿ ١٥ ﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ ١٦ ﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيهِ أَهْلًا مُّشْفِقِينَ ﴿ ١٧ ﴾ فَمَنْ أَتَى اللَّهَ عَالِيَةً وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿ ١٨ ﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿ ١٩ ﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجتمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزله للتساوي بينه وبين ذلك. ولهذا قال: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾ وهذا من فضله تعالى على الأبناء، ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد روى الإمام أحمد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» إسناده صحيح، وله شاهد في صحيح مسلم «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع

به، أو ولد صالح يدعو له» ولما أخبر سبحانه عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتبه بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أباً أو ابناً. وقوله: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهْمَ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢٢) أي وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى. وقوله: ﴿يَسْتَعْرَفُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتعاطون فيها كأساً أي من الخمر. ﴿لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ، أي هذيان، وإثم أي فحش، كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا. قال ابن عباس: اللغو الباطل، والتأثيم الكذب. فنه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، نفى عنها صداع الرأس، ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم الكلام الشيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذياناً وفحشاً، وأخبر بحسن منظرها، وطيب طعمها ومخيرها فقال: ﴿بِضَاةٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٢٣) ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَرُونَ﴾ (٢٤) [الصفات: 46-47] وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُمُرَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٢٥) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم، ونظافتهم وحسن ملابسهم. وقوله تعالى: ﴿وَأَقَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٢٦) أي أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٢٧) أي كنا في الدار الدنيا، ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٢٨) أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي ننصرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩) ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبَّ رَبِّبِ الْمَعْنِيِّ﴾ (٣٠) ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ﴾ (٣١) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (٣٢) ﴿يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)

يقول الله تعالى أمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩) أي لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكنمة يتلقاها من خبر السماء ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس. ثم قال تعالى منكرأ عليهم في قولهم في الرسول ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبَّبِ الْمَعْنِيِّ﴾ (٣٠) أي قوارع الدهر، والمنون الموت، نتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ﴾ (٣١) أي انتظروا فإنني معكم، وستعلمون لمن تكون العقابة والنصرة في الدنيا والآخرة ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ أي عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولون فيك من الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ أي والله هم قوم

طاغون ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أي اختلقه وافتراه من عند نفسه، يعنون القرآن، قال تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤)

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤) أي إن كانوا صادقين في قولهم: تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاؤوا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْبِطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلَیَاتٍ مَسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْتَأْجِرُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مَثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية، وتوحيد الألوهية فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أي أوجدوا من غير موجود؟ أم هم أوجدوا أنفسهم، أي لا هذا ولا هذا، بل هو الله الذي أنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً. روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْبِطُونَ ﴿٣٧﴾ كاد قلبي أن يطير. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين. ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾ أي أهم المتصرفون في الملك، ويدهم مفاتيح الخزائن ﴿أَمْ هُمُ الْمُصْبِطُونَ﴾ أي المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك، بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾ أي مرقاة إلى الملأ الأعلى ﴿فَلَیَاتٍ مَسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال، أي وليس لهم سبيل إلى سبيل فليسوا على شيء، ولا لهم دليل. ثم قال منكرأ عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (٣٩) وهذا تهديد شديد، ووعد أكيد ﴿أَمْ تَسْتَأْجِرُهُمْ أَجْرًا﴾ أي أجره على إبلاغك إياهم رسالة الله، أي لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مَثْقَلُونَ﴾ أي فهم من أدنى شيء يتبرمون منه، ويثقلهم ويشق عليهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١) أي ليس كذلك، فإنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢) يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في

الرسول وفي الدين غرور الناس، وكيد الرسول وأصحابه، فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

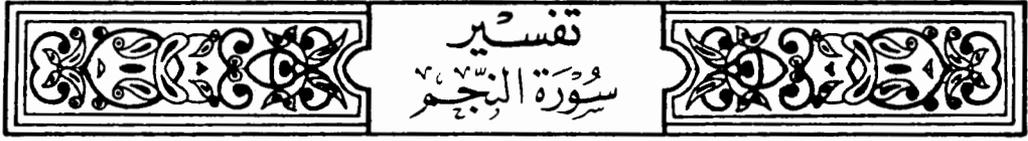
﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا، بل يقولون ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي متراكم ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي دعهم يا محمد ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي قبل ذلك في الدار الدنيا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي نغذبهم في الدنيا، ونبليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يراد بهم. بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، كما جاء في الحديث «إن المنافق إذا مرض وعوفي، مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه» وفي الأثر الإلهي: كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي، كم أعافيك وأنت لا تدري؟ وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي اصبر على أذاهم ولا تبألهم، فإنك بمراى منا. وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس. وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي إلى الصلاة، سبحانهك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. أو ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي من قومك من فراشك، أو إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانهك اللهم وبحمدك. روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن رباح أنه قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الاسراء: 79] وقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ هما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم، أي عند جنوحها للغيبوبة. وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعاً «لا تدعوها وإن طردتكم الخيل» يعني ركعتي الفجر. رواه أبو داود. وقد ثبت في الصحيحين عن

عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر، وفي لفظ لمسلم «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».



روى البخاري عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف، وقد جاء أنه عتبة بن ربيعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتَىٰ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق، رواه ابن أبي حاتم. واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمِ﴾، فقيل: هو الثريا إذا سقطت مع الفجر، أو هي الزهرة ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا رمى به الشيطان، أو هو القرآن إذا نزل، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَمْسِرُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَّا تَمْلُؤُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: 75-80]. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال، وهو الجاهل الذي يسلك غير طريق الحق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى، وطرائق اليهود وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتَىٰ﴾ أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي إنما يقول ما أمر أن يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة، أو ذو منظر حسن ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ يعني جبريل استوى في الأفق الأعلى. والأفق الأعلى الذي يأتي منه الصبح، أو هو مطلع الشمس. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين